رسالتان إلى ابن تيميّة الحرّاني

جلال الدين عبد الله بن إسماعيل بن محاسن الأسدي البغدادي

المعروف بـ: ابن المعمار البغدادي الحلّي (ت ٧٤٢ هـ)

تحقيق: سعيد شايان

جامعة قم المقدّسة

Saeed.shayan144@yahoo.com

رابط البحث: https://doi.org/10.62745/muhaqqiq.v10i26.372

الملخص

ظهرت في القرن الثامن من الهجرة فتنة في العالم الإسلامي، حيث أتى رجل حنبليّ معروف بـ: ابن تيميّة الحرّاني، فخالف علماء المذاهب الإسلاميّة، وشرع في تكفيرهم وتفسيقهم، حتّى آل أمره إلى أن سجنوه عدّة مرّات. وحين سجنوه في مدينة الإسكندرية، أتاها أحد علماء الصوفية الشهير بـ: ابن المعمار البغدادي، فأخبروه بما جرى بين علماء تلك البلدة وبين ابن تيميّة، ولمّا عرف ابن المعمار حقيقة الواقعة، أرسل رسالة إلى ابن تيميّة، نصحه فيها وطلب منه أن يكفّ عن مقالاته العجيبة في تكفير الأمّة. فلمّا قرأ ابن تيميّة رسالته، شتم كاتبها وأظهر البراءة من مقالته، وحينئذٍ كتب ابن المعمار رسالة ثانية مشفقًا على سوء حال ابن تيميّة، فنصحه بعبارات أُخر أدبيّة. وقد قمنا هنا بتحقيق نصّ الرسالتين مع بيان شيء ممّا يرتبط بابن المعمار في المقدّمة.

الكلمات المفتاحية:

ابن تيميّة، ابن المعمار، الصوفيّة، الكشكول في ما جرى على آل الرسول.

Two Letters to Ibn Taymiyya al-Harrani

Jalal al-Din Abdullah bin Ismail bin Mahasin al-Asadi al-Baghdadi

Known as: Ibn al-Mimmar al-Baghdadi al-Hilli (d. 742 AH)

Edited by: Saeed Shayan

Qom University

Saeed.shayan144@yahoo.com

Abstract

In the eighth century AH, a significant turmoil emerged in the Islamic world due to a Hanbali scholar known as Ibn Taymiyya al-Harrani. He opposed the scholars of the Islamic schools of thought and began declaring them infidels, which ultimately led to his repeated imprisonment. While he was imprisoned in the city of Alexandria, a well-known Sufi scholar, Ibn al-Mimmar al-Baghdadi, arrived and was informed about the events between the scholars of that city and Ibn Taymiyya. Upon learning the truth of the matter, Ibn al-Mimmar sent a letter to Ibn Taymiyya advising him to cease his controversial statements regarding the excommunication of the Muslim community.

When Ibn Taymiyya read the letter, he insulted its author and disclaimed responsibility for its contents. In response, Ibn al-Mimmar wrote a second letter, expressing concern for Ibn Taymiyya's condition and offering him advice in more refined literary expressions.

This study presents a critical edition of the texts of the two letters, along with introductory notes on Ibn al-Mimmar and his scholarly background.

Keywords:

Ibn Taymiyya; Ibn al-Mimmar; Sufism; Kashkul on Events Affecting the Family of the Prophet.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على البشير النذير، والسراج المنير، سيّدنا ونبيّنا محمّد، وعلى أهل بيته الطيّبين الطاهرين المعصومين، ولعنة الله الأبديّة على أعدائهم أجمعين، إلى قيام يوم الدين.

أمّا بعد، فإنّ الصراعات العقديّة ـ التي جرت كثيرًا بين أتباع المذاهب وعلمائها مع مخالفيهم ـ تشكّل جزءًا مهمًّا من تاريخ التراث الإسلامي، ومن المؤسف أنّ كثيرًا من هذه المنازعات والمناظرات ـ مع ما لها وفيها من فوائد مهمّة ومسائل جديرة بالعناية ـ لم تحظ بعناية علماء المسلمين تحقيقًا وتصحيحًا، فبقيت تلك الفوائد والمسائل تحت ستار الغفلة والنسيان، بل كادت أن تتمزّق وتضيع لولا عناية بعض علماء المذاهب بها.

وهذه الرسالة الماثلة بين يديك هي إحدى الجواهر الثمينة التي أبقتها الأيّام لنا كي نخرجها اليوم إلى عالم النور، وهي تحتوي على رسالتين، كتبهما عالم صوفي مغفول عنه ـ وهو: عبد الله ابن المعمار البغدادي ـ إلى عالم سنّي في غاية الشهرة وهو: تقيّ الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيميّة الحرّاني، وتعدّ الرسالتان من أقدم ما وصلنا من ردود علماء المسلمين على ذلك العالم السنّي.

ترجمة المصنّف

كما أشرنا سابقًا في المقدّمة، إنّ صاحب الرسالة ـ أعني: ابن المعمار البغدادي ـ هو أحد علماء الصوفيّة في القرن الثامن من الهجرة، ولم تُذكر معلومات تفصيليّة شاملة لجميع ما يُحتاج إليه في معرفة الرجل ـ نشأةً وأسرةً، وتحصيلًا وتأليفًا، ومنهجًا وعقيدة ـ، ولم يصلنا في المصادر الرجاليّة والتاريخيّة عنه إلّا أشياء قليلة، ونزر يسير، حاولنا استيعابه ـ إلى حدّ ما ـ في هذه المقدّمة الوجيزة.

اسمه ولمحة من حياته

هو: جلال الدين أو تاج الدين، أبو محمّد، عبد الله بن إسماعيل بن محاسن، البغدادي مولدًا وموطنًا، والحلّي وفاةً ومدفنًا.

وقد عرّف نفسه ونسبه في مقدّمة رسالة التضرّعات بما يلي: «عبد [الله] ابن إسماعيل بن محاسن المعمار، الصوفي مذهبًا ومقتدىً، الأسدي نسبًا ومحتدًا، البغدادي منشًا ومولدًا».

ولم نعثر على تاريخ ولادته تحديدًا، لكنّنا نعلم أنّه كان من أبناء أواخر القرن السابع، وعاش إلى سنة ٧٤٢ هـ، وقد سافر إلى أصفهان في سنة ٧٠٧ هـ، وذهب إلى الإسكندرية في سنة ٧١٧ هـ، وكان ساكنًا ببغداد في أُخريات حياته في حدود سنة ٧٣٥ هـ.

ومن المسائل الجديرة بالالتفات في حياة الرجل هو احتمال كونه من فرقة النُّصَيريّة الغالية، ولعلّه لهذا نسب إلى التصوّف؛ لكون النُّصيريّة تُعنى بالتأويلات الباطنيّة كثيرًا، وستأتي عبارات من بعض القوم المصرّحة بكون الرجل فيلسوفًا، فلا مجال للقول بأنّه ليست له مقالات عقليّة وباطنيّة معروفة بكونها من عقائد الفلاسفة والنُّصيريّة والصوفيّة. وهذا الاحتمال طرحه لأوّل مرّة الأُستاذ حسن الأنصاري القمّي[1].

وعلى كلّ، فقد عرفنا ابن المعمار البغدادي من خلال دراسة رسالتيه إلى ابن تيميّة رجلًا مؤدّبًا للغاية، لا يسيء في كلامه مع مخالفه بشيء، بل يبجّله ويثني عليه ليؤثّر في نفسه، وقد يستند في كلامه إلى القرآن كثيرًا، ويشير في نصرة كلامه إلى الأحاديث والأقوال الحكميّة أحيانًا، فالروح الملموسة في لسانه وكتابه هي

(1) http://ansari.kateban.com/.st/1907.

تلك الروح الخاصّة بالصوفيّة القائلين بالصلح العامّ مع الجميع. ولا يمكن أن نشكّك في ذكاء الرجل وحسن قريحته وكمال دقّته في ما يطرحه بناء على ما تبنّاه من عقيدته وسلوكه.

وبكلمة جامعة: الرجل صوفي، عارف بالمسائل الشرعيّة والحكميّة، ومثقّف، ومائل إلى مذهب الشيعة إلى حدّ ما.

آثاره

قام ابن المعمار بتأليف عدد من الكتب، نذكر ما تمكّنّا من التعرّف عليه:

١ـ الكشكول في ما جرى لآل الرسول صلى الله عليه وآله.

هذا الكتاب قد طبع عدّة مرّات، ونُسب إلى السيّد حيدر الآملي، لكن قد نوقش في هذه النسبة كثيرًا، وأجاد الشيخ الميرزا أفندي رحمه الله في تشكيكه بهذه النسبة، فنلخّص أدلّته بما يلي:

أ) عدم موافقة سياق الكشكول مع طريقة السيّد الآملي الصوفي؛ لأنّه لم يذكر من مطالب الصوفيّة ومصطلحاتهم شيئًا.

ب) ورود ذمّ الصوفيّة في هذا الكتاب، وهذا لا يناسب كون المؤلّف صوفيًّا كالسيّد الآملي.

ج) كان تاريخ تأليف الكتاب في سنة ٧٣٥ هـ، وتاريخ المسائل التي سألها السيّد الآملي من فخر المحقّقين ـ ولد العلّامة ـ هو سنة ٧٥٦هـ، ومن هنا قال الأفندي: «ومن المستبعد جدًّا أن يكون أوّلًا في غاية العلم والفضل حتّى أنّه قد ألّف ذلك الكشكول، ثمّ صار بعد أربع وعشرين سنة ـ لا أقلّ ـ من جملة متوسّطي العلماء، حتّى يسأل عن الشيخ فخر الدين المذكور بعض المسائل الفقهيّة ويستفتيها!».

د) توجد عبارة في خاتمة بعض النسخ العتيقة من كتاب الكشكول، وهي: «تمّ الكتاب المسمّى بـ: الكشكول في ما جرى لآل الرسول، دروزة الفقير إلى الله تعالى، عبد الله بن إسماعيل بن محاسن المعمار الأسدي عفى الله عنه».

ثمّ قال: «وقد رأيت أنا تلك النسخة العتيقة بقزوين، وكان تاريخ كتابتها سنة ثمان وثلاثين وثمانمئة، في بلدة قطيف من بلاد الأحساء، وقد كانت بخطّ إبراهيم بن عيسى بن إبراهيم بن سلطان بن شبيب، مع أنّه لم يثبت كون عبد الله بن إسماعيل المذكور من جملة العلماء، بل ولا يكون هذا الرجل هو ابن المعمار المشهور؛ لأنّ الّذي يعرف بـ: ابن المعمار، كان من أكابر الفقهاء والمتكلّمين، وعندنا من مؤلّفاته رسالة لطيفة في علم الكلام. فلاحظ. واسم مؤلّفه غير هذا الاسم، ولم يحضرني الآن اسمه. فلاحظ».

٢ـ مسبار العقيدة[١].

طبعت ترجمتها بالفارسيّة في مجلّة ميراث إسلامي إيران، الجزء الثاني، سنة ١٣٧٤ ش.

٣ـ رسالتان إلى ابن تيميّة، وهي الماثلة بين أيديكم.

وقد ذكر الأُستاذ حسن الأنصاري القمّي هاتين الرسالتين، وعنونها بـ: «مناظرات»، ومن هنا نشكر جهود الأستاذ في التعريف بالتراث الإسلامي[٢].

---

(١) قال المولى الأفندي ﷺ في رياض العلماء ٣: ٢٥٤: «ولكن عندي من مؤلّفاته: رسالة مسبار العقيدة في أُصول الدين، حسنة النهج والفوائد، والنسخة عتيقة جدًّا... وقد ألّف تلك الرسالة للشيخ نظام الدين إسحاق على طرز أنيق رشيق، والنسخة التي عندنا منها قد سقطت من آخرها أجزاء، فلاحظ».

(٢) ومن الجدير قراءة ما كتبه الدكتور الأنصاري في مقالته حول ابن المعمار البغدادي، ففيها بعض الفوائد المهمّة. انظر:

http://ansari.kateban.com/post/1907.

٤ـ شرح المشرع السابع والعشرين من مشارع الأشواق للجلياني.

كذا جاء ذكر هذه الرسالة في فهرس المخطوطات لمركز الملك فيصل[١].

٥ـ كتاب التضرّعات (في الأدعية).

٦ـ كتاب المنسك (في الفقه)[٢].

ما قيل عنه

لم نعثر ـ بعد الفحص والبحث في كتب التراجم والرجال والتواريخ ـ على معلومات تفصيليّة كثيرة حول ابن المعمار، ولعلّ أقدم نصّ وصلنا عن حياته هو ما قاله السلامي الدمشقي ـ من تلامذة ابن تيميّة الحرّاني ـ في كتابه: تاريخ علماء بغداد، حيث قال[٣]:

عبد الله بن إسماعيل الأسدي البغدادي، أبو محمّد، المنعوت بالجلال.

الكاتب، الأديب، الفيلسوف، المعروف بـ: ابن المعمار.

أنشدني الإمام أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن المطري، قال: أنشدني أبو محمّد عبد الله بن إسماعيل ـ لنفسه ببغداد ـ جواب كتاب للشيخ تقيّ الدين ابن تيميّة:

كَأَنَّ بَيتَينِ إذْ أغنَيَا عَن
أَلفِ بَيتٍ تَمَّ مِنهَا الغَرَض
صَمْتِيَ عَن سَبِّكَ لِي صِحَّةٌ
فَيَّ، وَبَلوَاكَ بِسَبِّي مَرَض
وَالصَّمْتُ مِن ذِي قُدرَةٍ جُوهَرٌ
وَشُغلُكَ الآنَ بِعِرضِي عَرَض

(١) خزانة التراث ١٢٢: ٤٠٨/ ١٢٥٧١٧.

(٢) فهرس تاريخ التراث الإسلامي ٢: ١٣٦٩/ ٣٨١٨.

(٣) تاريخ علماء بغداد (منتخب المختار): ٥٣ ـ ٥٤/ ٥٩.

توفّي في جمادى الآخرة، سنة ٧٤٢ هـ (١٣٤١ م) بالحلّة من العراق.

ووصفه ابن الفوطي الشيباني مرّتين بقوله: «الشيخ العالم العارف»[١].

وقال المولى عبد الله الأفندي عنه[٢]: «فاضل عالم، متكلّم كبير من الإماميّة، ولم أعلم خصوص عصره».

وقال خير الدين الزركلي عنه[٣]: «عبد الله بن إسماعيل الأسدي البغدادي، أبو محمّد، جلال الدين، ابن المعمار، كاتب أديب، نُعت بالفيلسوف، له شعر، من أهل بغداد، توفّي بالحلّة».

تلامذته

قد ذكر ابن الفوطي الشيباني (ت ٧٢٣ هـ) ـ المعاصر لشيخنا المترجم[٤] ـ في كتابه بعض المعلومات النافعة حول ابن المعمار، ومنها ما ذكره من أسماء بعض تلامذته، حيث ذكر منهم:

١ـ غياث الدين، أبو سعد، سلطان شاه ابن شهاب الدين سليمان بن عليّ بن أبي الفتح الشيباني.

قال عنه[٥]: «اشتغل وحصّل، وكتب على الشيخ العالم العارف، تاج الدين،

(١) مجمع الآداب ٢: ٤٣٩/ ١٧٦٩؛ وكذا فيه ٣: ٣٧٦/ ٢٧٩١.

(٢) رياض العلماء ٣: ٢٥٤.

(٣) الأعلام ٤: ٧٢.

(٤) كما صّرح بذلك نفسه في مجمع الآداب ٤: ١٧٩/ ٣٦١٧، حيث قال في ترجمة كمال الدين عبد الرحيم بن شجاع الحربوي: «حدّثني الشيخ العارف، تاج الدين، أبو المحاسن، عبد الله بن إسماعيل ابن المعمار، قال: كان المتولّي لقضاء دجيل يحكم من الحربيّة الى دَقوقا، فنازعه القاضي شرف الدين إبراهيم الكليني ـ قاضي دجيل ـ ودام النزاع بينهما، فرافعا الى قاضي القضاة وهو... في جماعة. قال: وكنتُ معهم... إلى آخره».

ثمّ قال: «وذلك سنة... ثمانين وستّمئة».

(٥) المصدر نفسه ٢: ٤٣٩/ ١٧٦٩.

عبد الله بن إسماعيل ابن المعمار، واقتبس منه نكت الصوفيّة والعلماء».

٢ـ قطب الدين، أبو سعيد، حيدر شاه ابن شيخ المشايخ شهاب الدين سليمان بن عليّ بن أبي الفتح الشيباني.

قال عنه[١]: «انتقل وتأدّب وكتب على الشيخ العالم العارف تاج الدين عبد الله بن إسماعيل ابن المعمار».

شعره

كان ابن المعمار ممّن ينشد الشعر أحيانًا، وقد تمّ العثور على مجموعتين مختصرتين من الأبيات الشعريّة له، والشكر موصول للسيّد حسين الموسوي البروجردي لتوفير مخطوطتها، وهذه الأبيات هي:

١. أبيات مكتوبة في بداية رسالة، في ضمن مخطوطة محفوظة في مكتبة فيض الله أفندي في تركيا برقم ١٢٦٥، وجاء في بدايتها ما يلي:

هذه الأبيات كتبها ابن المعمار البغدادي على هذه الرسالة المشهورة برسالة الطيف:

تنام حتّى ترى هذا المنام بهذا
الطول، قل لي: متى نلقاك يقظانا
وكلّ خطبته دلّت على ظمأٍ
وأنت في البحر ما تنفكّ ظمآنا
من لجّة البحر ما أروته من ظمأٍ
بأيّ شيءٍ ترى قد بات شبعانا

٢. لقد كان لابن المعمار مواجهة أُخرى مع ابن تيميّة من خلال أبيات أُخرى حاول فيها اختباره، ففرض نفسه ذمّيًّا قد تورّط في فكرة الجبر، وأراد

(١) مجمع الآداب ٣: ٣٧٦/ ٢٧٩١.

جواب علماء الإسلام عنها، فأجاب ابن تيميّة بجواب ليس فيه إلّا التنقيص والاتّهام، فردّ عليه الشيخ المقداد السيوري وطلب منه أن يجيب بجواب مقنع، وأن لا يكتفي باتّهام الآخرين. وهذه الأبيات مكتوبة في نهاية نسخة من كتاب نهج المسترشدين للعلّامة الحلّي، تحتفظ بها مكتبة العتبة الرضويّة ـ على ساكنها آلاف التحية والسلام ـ، برقم: ٩٥٥، كتبها محمّد بن أبي طالب الآوي في سنة ٧٠٢ هـ في بغداد. والأبيات كما يلي:

كتب الشيخ ابن المعمار هذه الأبيات، وألقاها في مجلس ابن تيميّة بدمشق المحروسة:

أيا عُلَما الدِّينِ، ذمّيُّ دينِكم
تَحيَّر دُلُّوه بأوضَحِ حُجَّةِ

إذا ما قضى ربّي بكفري بزعمكم
ولم يَرضَه منّي فما وجهُ حيلتي؟!

دعاني وسَدَّ البابَ عنّي فهل إلى
دخولي سبيلٌ؟! ثبّتوا لي قضيّتي

قَضَى بضلالي ثمّ قال: ارضَ بالقضا
فهل أنا راضٍ بالذي فيه شقوتي؟!

فإن كنتُ بالمقضيِّ يا قوم راضيًا
وربّيَ لا يَرضى لَشُومُ بليّتي

فهل أرضَ شيئًا ليس يرضاه سيّدي؟!
فقد حرتُ دُلّوني على كشف حيرتي

إذا شاء ربّي الكفر منّي فَشِيتُهُ
فهل أنا عاصٍ باتّباع المشيّة؟!

وهل لي اختيــار أن أخالف حُكمَه؟!
بــاللّه اشــفوا بالبراهــين علّتــي

فأجابه ابن تيميّة يقول:

ســؤالُك هــذا ســؤالُ معانــدٍ
يخاصــم ربَّ العــرش بــاري البريّــة
وهــذا ســؤالٌ خاصَــمَ المَلِــكَ العليَّ
قديمًــا بــه إبليــسُ أصــلُ البليّــة
ومن يــكُ خصمًــا للمهيمــن يَرجِعَنْ
علــى أمّ رأســه هاويًــا فــي الحفيرة
ويُدعــى خصــومُ اللّه يــوم معادهــم
إلــى النــار طــرًّا: فرقــة القدريّــة

فقال الشيخ المقداد جوابًا له:

جوابُــك ـ يــا هذا ـ جــوابُ مكابر
لحكــمِ بديهــي النُّهــى والادلّــة
يَحيد عــن الحقّ الصــراح وإن غَدَت
أدلتُــه [...] قبــح العقيــدة
ويلتــزم التشــنيع بالهــذر مُوهِمًــا
لأتباعــه أن قــد أتــى بهدايــة
ولــم يَــدرِ أنّ الحــقّ إذ لاح نــوره
فلــم يُطفِــهِ تلبيــسُ أهــل الجهالــة
ومــا ذنــب ذمّــيٍّ غــدا متحيّــرًا
لِمَــا قــد رأى من قبحهــا مــن بليّة؟!

فهــلّا أتيتــم فــي الجــواب بمُفحِــمٍ
من القول والتبيان في كشــف حيرة
كنــصّ كتــابٍ أو دلالــة سُــنّةٍ
أو العقــلِ إن كنتــم لــه فــي مظنّة
ولكنّ حكــم النصّ يقضي بأنّكم
مجــوسٌ لئــامٌ فرقــةُ القدريّــة

التعريف بالنسخة

كما مرّ القول سابقًا: إنّ القول الصحيح في نسبة كتاب: الكشكول في ما جرى لآل الرسول صلى الله عليه وآله أنّه لابن المعمار البغدادي، وقد توجد نسخة من هذا الكتاب مع التصريح بكونه لهذا الشيخ في مكتبة جامعة الإلهيّات والمعارف الإسلاميّة في المشهد المقدّس الرضوي، برقم ٥٦٨.

وهذه المجموعة تحتوي أيضًا على نسخة فريدة لرسالتي ابن المعمار إلى ابن تيميّة ـ وهي هذه الماثلة بين أيديكم ـ، وهي الرسالة الثالثة في تلك المجموعة.

وقد عرّفت المجموعة في فهرس المكتبة بكونها مكتوبة بخطّ النسخ، وحرّرها عبد الله بن حسن بن محمّد النجّار في شهر الشعبان، سنة ٧٦٢ الهجريّة. وكانت في تملّك محمّد ليث الحسيني النجفي، وكذا في تملّك رجل باسم: «أبو الحسن» في سنة ١١٦٨ الهجريّة.

والمجموعة تحتوي على رسالة بعنوان: المقدّمة في ذكر مناقب أمير المؤمنين عليه السلام؛ منسوبة للخواجة نصير الدين الطوسي رحمه الله، وكذا على مقالة أدبيّة بطريقة المقامة[1].

(١) فهرست نسخه هاي خطّي كتابخانه دانشكده إلهيات ومعارف إسلامي مشهد ١: ٣٧٩/ ٦١٦.

منهج التحقيق

بعدما أعطاني الأستاذ السيّد حسين الموسوي البروجردي ـ أدام الله توفيقه ـ نسخة هذه الرسالة وطلب منّي تحقيقها، قرأتُها مرّة، فوجدتها جديرة بالعناية والتصحيح.

وحيث لم يكن للرسالة عنوان معيّن من قِبَل المصنّف، وكذا لم يرد لها اسم خاصّ في المصادر، لذا قمنا باختيار عنوان لها، وسمّيناها بـ: رسالتان إلى ابن تيميّة الحرّاني، وهذا أحسن ما يمكن أن تعرّف به الرسالة؛ لأنّ مفادها ليس مسائل جدليّة حتّى تسمّى بالمناظرات، بل الرسالتان تحتويان على عدّة نصائح ومواعظ لابن تيميّة، فالأليق ما سمّيناها به.

وقد طبعتُ النصّ في البداية على الحاسوب، ثمّ قابلته بنفسي وصحّحت بعض ما فات منّي في المرحلة الأولى، ثم شرعتُ في تخريج ما أشار له المصنّف في المتن، فخرّجت الآيات والأحاديث والأقوال.

وجعلت في هذه المرحلة أنواع علامات الترقيم المتعارفة، فاستعملت القوسين المزهّرين ﴿﴾ لحصر الآيات القرآنيّة، والقوسين المزدوجين «» لحصر ما ثبت كونه من الأحاديث الشريفة، أمّا ما لم نعرفه بعنوان حديث، أو نعرف كونه حديثًا مختلقًا، فلم نجعله بينهما. وجميع ما زدناه في المتن ممّا يقتضيه السياق والنصّ، وكذا العناوين الواردة لتقطيع الفصول، وضعناه بين معقوفتين [].

ولأهمّية هذا النصّ العتيق وعدم تمكّني من قراءة بعض الكلمات، قام الأستاذ الفاضل والمحقّق المتتبّع، الشيخ حيدر البياتي ـ زاد الله في مقاماته الدنيويّة والأُخرويّة ـ بمقابلة النصّ مع المخطوطة للمرّة الثالثة، ولولا ما صحّحه وأنعم النظر فيه وأثبته لما خرجت هذه الرسالة بنصّ مصحّح دقيق بهذه الصورة، فلله أجره وعليه درّه.

صورة الصفحة الأُولى

من مخطوطة كتاب الكشكول، مع التصريح بكونه لابن المعمار

صورة الصفحة الأُولى

من رسالتي ابن المعمار إلى ابن تيميّة

صورة الصفحة الأخيرة من الرسالتين

بسم الله الرحمن الرحيم

[المقدّمة]

قال الفقير عبد الله ابن المعمار:

دخلتُ الإسكندريّة الميمونة التي هي من كلّ دنس مصونة غرّة رمضان، المتناهي[1] بسنة أتى أمر الله ـ وهي سنة سبع عشر[ة] وسبعمئة ـ وأنا على قدم التجريد والسياحة، وطلب الزهد والراحة، معتبرًا أسرار الله في الأرض، مختبرًا[2] ساحات طولها والعرض، فارغًا من ملابسات الناس، خاليًا ممّا يجلب لي الوسواس، فرأيتُ بها ما يملأ العين قرّة، والنفس مسرّة، فشهدت من حسن المساكن، وإحسان الساكن ما يسلّي عن الأوطان، ويُنسي سالفَ الإخوان، ورأيتُ ما خُصّت به من العجائب الغريبة، والغرائب العجيبة، أن يلتقي بها السائح والسافح[3]، ويحمدها الغادي والرائح، ويمدحها السانح والبارح. الأبدان بها سليمة، والأديان فيها مستقيمة، والصَّلاة قائمة، والصِّلات دائمة، والمساجد مزهرة، والليالي مقمرة، وسحر المكارم بها مثمرة، وأنفاس الفضائل بها متعطّرة، والقرآن متلوّ، وحسن الأخلاق مجلوّ، وأهلها من تخليص عان[4]، وتلخيص معانٍ، وأفتخار ملابس، واقتناء نفائس. فتمشّيتُ في ربوعها، وأعجبتُ بتقسيم تربيعها، فبَينَا أنا أرفل في خفارة الخفارة بقلب أثبَتُ من الحجارة، طالبًا باب المنارة.

(١) كذا.
(٢) كذا.
(٣) كذا.
(٤) كذا.

[بيان حال ابن تيميّة، وسبب حبسه]

لقيتُ بعض الإخوان، وممّن نشأتُ معه في الزمان، فاستفهمتُ منه أحوال المدينة، وما الذي تحتوي عليه من الزينة، فقصَّ عليَّ طرفًا من أخبارها، ونشر لديَّ طرفَي إزارها، وقال: أَعَلِمتَ أنّ طالب الإمامة، المحارب على الزعامة، الفقيه العلّامة، العبد الصالح، الأمين الناصح، المنزّه من المآثم، ناصر المظلوم على الظالم، ربّ الفلق[1] والحسبة، والكرسي والخطبة، صاحب العقيدة الأحمديّة، والشياط[2] المحمّديّة، الورع من الغِيبة، المظهر للعوامّ كلّ عجيبة، النقيّ من الشبه والالتباس، النفيّ من أخذ أعراض الناس، ناشر محاسن السلف، مسدّد عقول الخلف، المسمّى بين الناس بـ: أحمد، المفتي على مذهب الإمام أحمد، المعروف بـ: ابن تيميّة، مسجونٌ في سجن الإسكندرية؟!

فقلتُ: ما أدراك؟ وما السبب لذاك؟!

فقال: نشأت بينه وبين فقهاء الزمان، وقضاة البلاد والأعيان، منافرةٌ أدّت إلى مناكرة، وصلت إلى مشاغبة، انتهت إلى محاربة، بلغت به إلى الحبس، وهي[3] العقل وضعف النفس.

[بيان دعاوي ابن تيميّة، وما نقموا عليه]

فقلتُ: أَعَلِمتَ شيئًا من دعاويه، وما الذي يقول مُناويه؟

فقال: اطّلع على كتب الناس، وهمّ أن يكشفها بالقياس، فوقع في الالتباس، وأخذه نار الوسواس، فرماها بالأرجاس والأدناس، ثمّ تعاطى بينهم الإرشاد، فرَموه بالعناد.

---

(١) كذا.

(٢) كذا.

(٣) كذا، ولعلّه: «وَهْيُ» أو «وَهَى».

فقلتُ: أبهمتَ فأفصِح، وقلتَ جُملةً فأوضِح.

فقال: ظَنَّ ما حصّله من الأقوال كافيًا في مناظرة أرباب الأحوال، فجاش عليهم بألفاظ، واعتقد أن يطغى منهم بعضُ الشواظّ، فعُكس عليه شعاع أحدهم فأحرقه، ونفذ فيه سهم بعضهم فخرقه، فأبى إلّا المكاثرة، والإصرار على المطاولة والمكابرة.

فقلتُ: بيِّن، فالأمر ليس بهيِّن.

فقال: عمد[1] إلى رموز الأنبياء المكنونة في صدور الفقراء، المبهمة بين الأولياء والصلحاء، المستورة بين العلماء الأتقياء، المبطونة في الكنايات والعبارات، المنظوية في التجوّزات والإشارات، فنشرها بين العوامّ، وأباحها للخاصّ والعامّ، وفتق فيها لسان الملام، ونذّد بها في المحافل والأسواق، وألقاها في أسماع أهل الشقاق.

فنادَوه: يا مذيع الأمانة، يا مظهر الخيانة، يا مثير الإحَن، يا مهيّج الفِتَن، لِمَ أوقعتَنا في الذمّ، وأطلقت علينا عنان الشتم؟!

فقال: لإظهاركم الفساد، ودعواكم بالاتّحاد.

فقالوا: يا لقيط المعارف، ورضيع الصحايف، يا من ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾[2]، إن كنتَ تدرك الاتّحاد وتعرفه، ويمكنك أن تبديه وتصفه، فحالك مثل حالنا، ومَآلُك إليه كمَآلنا، وإن كان لم يَجُل لك فيه وهم، ولا انبسط لك عليه سهم، فـ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[3]، واجتنب الظنّ ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[4]، وإن كانت معرفتك به لا تؤثّر فيك، وأنت طالب رئاسة

(١) لعلّها تقرأ: «عهد».

(٢) يس (٣٦): ٧٨.

(٣) الإسراء (١٧): ٣٦.

(٤) الحجرات (٤٩): ١٢.

وهوى، وقَلَّ من تسنّم متن الهواء وما هوى، فكيف تؤثّر معرفتنا به فينا سوا، وقد رفضنا الشهوة والغضب، ولبسنا بين يدي ربّنا شعار الأدب، وحفظنا الأسرار من الأشرار، وطوينا الأخبار عن الأغيار، وجادلنا بالتي هي أحسن وأقوى، وناظر بعضنا بعضًا في مراتب التقوى، فطلبنا القرب من الله مجلسًا، ودوام ذكره لنا مونسًا، فأخملنا ظواهرنا بالذلّ والانكسار، واستعملنا في قلوبنا الهيبة والوقار، بين يدي الملك الجبّار، العزيز القهّار.

وحمّلنا بواطننا بالقناعة والحلم، والشجاعة والعلم، والسخاء والمروّة، والوفاء والفتوّة، والمودّة والصيانة، والعزّة والأمانة، والمحبّة والصدق، والمسامحة والرفق، وطهارة الأنفاس من الأدناس، وحراسة الخواطر من الوسواس.

وتدرّعنا الشفقة والإحسان، ولبسنا الصبر والإيمان، وجانبنا الشهوة والغضب، والحرص والكذب، والغفلة وسوء الأدب، والحقد واللعب، والعناد والمناظرة، والحسد والمفاخرة، وطلب الرئاسة بالقهر، والتغلّب على أبناء الدهر، والشره[...][1]، والشحّ والخشونة.

وتوخّينا النزاهة من الغِيبة ليلًا ونهارًا، والتوبة من أكل لحم المَيتة سرًّا وجهارًا، وسألنا الله أن يُلهمنا السكوت، وأن لا يوقعنا في المعاندة لشيء من خلقه حتّى نموت.

فارجع ـ أيّها الإنسان ـ إلى نفسك، واذكر طول رمسك، وغيبة قمرك وشمسك، فما الأخرس كالمترجِم، ولا الطبيب كالمنجّم، ولا الفقير كالفقيه، ولا الورع كالسفيه، ولا المالك كالمملوك، ولا الغنيّ كالصعلوك[2]، وقل: ﴿ قُلْ

(١) كلمة لم نتمكّن من قراءتها.

(٢) الصعلوك: هو الفقير الذي لا مال له، كما نصّ عليه ابن منظور في لسان العرب ١٠: ٤٥٥.. وغيره.

﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾[1]، ويستوي[2] على مَحَجّته بحُجّته، و ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾[3]، ورضي كلّ قوم مذهبهم، ولكلّ من الرجال مقام ومقال، ومشرب ونديم.

فاربَع على ظَلعِك، وارعَ من زرعك، ولا تظنّ أنّ بعد محمّد ﷺ نبوّة، ولا بلغ بك الحال مقامات الأبوّة، فالمنتظر غيرك، والمعدود في هذا الطمع سيرك[4]، فاسترِح وأرِح، ومرهم العرض المنجرح[5]، واعلم، أنّ قليلًا من ضياء الحسّ خيرٌ من كثيرٍ من درسِ الحكمة، وأنّ الله تعالى ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[6] ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[7].

فلم تزده معاتبتهم[8] إلّا نفارًا، ولا وليته[9] مجاذبتهم[10] إلّا استكبارًا، وهو الآن مكبّ في السجن على الإصرار، مجانب لما جاءه من الإنذار، غير منقاد إلى إلقاء الأعذار، وملابسة الاستغفار.

---

(١) الإسراء (١٧): ٨٤.

(٢) هكذا قد تقرأ، كما قد تقرأ: «ويَسري».

(٣) البقرة (٢): ٦٠؛ الأعراف (٧): ١٦٠.

(٤) كذا.

(٥) كذا.

(٦) البقرة (٢): ١٠٥؛ آل عمران (٣): ٧٤.

(٧) يوسف (١٢): ٧٦.

(٨) تقرأ في الأصل: «معاتبهم».

(٩) كذا.

(١٠) كذا، ولعلّها: «محادثتهم».

[الرسالة الأُولى إلى ابن تيميّة]

قال العبد عبد الله ابن المعمار:

فحملتني الشفقة عليه بأن أكتب شيئًا إليه، أذاكره بما في السكوت من الأمر المحبوب؛ لعلمي أنّه غير الرجل المطلوب، وأنّه عمّا قصده الفقراء من الرمز محجوب، لعلّه يقلع ويتوب.

فكتبتُ إليه، وأسـ[ـميته][1]: الواقعة:

بسم الله الرحمن الرحيم.

السّلام عليك أيّها الوليّ الصالح، والأمين الناصح، ورحمة الله وبركاته.

اعلم ـ أيّدك الله بما تسمع، وأيّدك بروح منه، وحرسك من المبادرة إلى الجرح الذي هو شعار أهل الجدل، والعجلة التي أُصيب بها أهل الملل والنحل ـ:

أنّ الانسان الشخصي، المنبثّ على وجه الأرض، القائم بالحياة، المتسلّط على ما عليها من معدن وحيوان ونبات، لم يجد من يدلّه على حقيقة ما في باطن الأمر من الأسرار الإلهيّة الواجبة الوجود، غَيرَ الإنسان النوعي الذي هو من جنسه؛ لحصول الأنس بينهما في قبول الأثر والتأثير، لتنبت الحكمة في العنان، ويظهر سرّ الله في الكنان[2]، ولا من يبدي مراتب العقول الإلهيّة سواه، ولا من يقرّر أحكام النبوّات الشرعيّة غيره، ولا من يغاير بين الصفات إلّا هو، ولا من يؤمن ويكفر، ويعلم ويجهل سواه.

ثمّ يمرّ بفكره على سائر الأشياء الوضعيّة ـ من البلاد والقلاع، والمدن والضياع، والآلات والأعمال، والصناعات والأشغال ـ فيجدها أثرَه وعملَه،

(١) قد تقرأ: «واستهمله». والأنسب ما أثبتناه؛ بقرينة ما سوف يأتي في الرسالة الثانية من قوله: «واسمُها: الصاخّة».

(٢) كذا.

حتّى يرى أكثر الأشجار، والرياحين والأزهار، وسائر النبات قد باشره بيده ونظره، ولا يزال كذلك حتّى ينتهي إلى الأفلاك، والعناصر، والمولّدات، فيقف هناك ويظهر العجز، ثمّ يخرج ـ مع العجز ـ بالإبانة والإيضاح عن حركاتها وسكناتها، وتحليلها وتركيبها، وتولّد بعضها من بعض، ويكشف أُصولها ومباديها وغاياتها، كلّ ذلك بتقدير العزيز العليم الذي خلقه ودبّره، وشقّ سمعه وبصره، وقد نطقت الإشارة الإلهيّة بمقامه من الموجودات، فقال سبحانه: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾[1] إلى قولهم: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾[2] إلى قوله: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾[3].

فنبّه عليه السلام: أنّ الإنسان النوعيّ المتكثّر بالشخص يخبر عن سائر المعاني والعلوم بلسانه، ويظهر جميع الصناعات بيده، فكأنّه بيتٌ جامع لأحكام الله وأسمائه وصفاته، مستقرٌّ لرحمته وعذابه، مظهرٌ لأشخاص موجوداته، دليلٌ عليها، وله صورة، وجلد، وعظم، وعصب، وعروق، وجداول، وأوردة، وحجب، وأعضاء، وأغشية، كلّ واحد منها له صناعات وعلوم، وأعمال مؤالفة ومخالفة، وأحكام مختلفة، وله بعد ذلك:

قوى حيوانيّة، تنقله في الجهات.

وقوى طبيعيّة، تقوم بشهوته بجذب منافعه ودفع مضارّه.

وله قوى حسّيّة، يصل بها إلى أغراضه العلميّة والعمليّة، والمقاصد المركّبة من الشهوة والغضب، يسوس بها[4] عالَمي وجوده وموجوده.

(١) البقرة (٢): ٣١.

(٢) البقرة (٢): ٣٢.

(٣) البقرة (٢): ٣٣.

(٤) في الأصل: «بهم».

وله قوى نفسانيّة، يستخرج بها[١] العلوم السياسيّة، والصناعات العمليّة، ويظهرها بها[٢] من القوّة إلى الفعل.

وله قوى عقليّة، يميّز بها[٣] صور الموجودات، ويرتّبها في المُلك والملكوت، ويحفظ بها[٤] نظام الصورة الكلّيّة.

وله قوى روحانيّة، يستنزل بها[٥] الأفكار الغامضة، والمعاني الشريفة، وينتهي إلى المناسبة الخفيّة، يستخرج بها[٦] جواهر الحكم.

وله قوّة الهيّة، يستغرق بها في عالم الحيرة والذهول، وينبثّ بها في تلك المواطن على الحياة والعلم.

ثمّ له في كلّ مرتبة لسان، يخبر به عن تلك المرتبة وما فيها ويلابسها من المعاني الباطنة والظاهرة،

فيقول مخبرًا عن لسان القوى الحيوانيّة: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[٧].

ويقول عن القوى الطبيعيّة: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾[٨].

ويقول عن القوى الحسّيّة: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[٩].

ويقول عن القوى النفسانيّة: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾[١٠]، و: ﴿سَوَّلَتْ لِي

(١) في نسخة بدل: «بهم».
(٢) في نسخة بدل: «بهم».
(٣) في نسخة بدل: «بهم».
(٤) في نسخة بدل: «بهم».
(٥) في نسخة بدل: «بهم».
(٦) في نسخة بدل: «بهم».
(٧) الفرقان (٢٥): ٤٤.
(٨) آل عمران (٣): ١٤.
(٩) الملك (٦٧): ١٠.
(١٠) الفجر (٨٩): ٢٧.

نَفْسِي﴾[1]، و: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾[2]، و: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ﴾[3].

ويقول بالقوى العقليّة: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[4].

ويقول بالقوى الروحانيّة: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[5].

ويقول بالقوّة الإلهيّة ـ مخبرًا عن الإلهيّة ـ: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾[6].

ثمّ يعرض لهذا الإنسان النوعي أن يتكثّر بالشخص، فيملأ وجه الأرض، فتُحدث فيه الجهات اختلافًا في شخصه وعقله، ويتباين بخمسة أشياء وهي: المظاهر، والأسماء، والصفات، والأفعال، والأقوال، فيتناكر ويتغاير، فيصير الملك في العيان غير الصعلوك، والطويل والأبيض غير القصير والأسود، وزيد غير عمرو، والنجّار غير الحدّاد، والعالم غير الجاهل.

ثمّ يتطوّرون بحسن الجهات والمساكن وامتداد[7] الأزمنة أطوارًا، كلّ طور دائرة، ولهم من جنسهم رئيس يحكم أمرهم، ويجمع عقولهم، كلّ ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[8]، ولتظهر خصائص القوّة الإلهيّة في الكائنات، وتبدو أحكام الله في الأسماء والصفات، فحينئذٍ تظهر العقائد والملل، والآراء والنحل.

والإنسان النوعيّ المجرّد في باطن الأمر غير هذه المعاريض، قائما[9] بالفطرة الأولى، وإنّما «أَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِه، وَيُنَصِّرَانِه، وَيُمَجِّسَانِه»[10]، والحقيقة الإلهيّة قائمة به

(١) طه (٢٠): ٩٦.

(٢) القيامة (٧٥): ٢.

(٣) يوسف (١٢): ٥٣.

(٤) الأعراف (٧): ١٩٩.

(٥) يوسف (١٢): ٤٠؛ الإسراء (١٧): ٢٣.

(٦) طه (٢٠): ١٤.

(٧) في الأصل: «ولامتداد».

(٨) الأنعام (٦): ٩٦؛ يس (٣٦): ٣٨.

(٩) كذا، ولعلّها: «فإنّما».

(١٠) روى الشيخ الصدوق ﷺ في كتاب من لا يحضره الفقيه ٢: ٤٩ ـ ٥٠/ ٢، عن الإمام

في عـالم الحياة بجوهر واحد، يجتمع بـه في المؤتلفات، ويفترق به في المختلفات، حتّـى تُحـدث المباينة إنـكار الابن لأبيـه، والأخ لأخيـه، وتُحـدث المؤالفة أُنس الهندي بالرومي، والتركي بالحبشي، والعربي بالعجمي.

ثمّ بعد ذلك، قد رتّب الله تعالى هذا الإنسان الشخصي على ترتيب لم يقصده الإنسان بنفسه في سائر الأماكن، يدلّ على رضا الله عنه في الابداع والوضع، حتّى تجـد كلّ مدينـة تحتاج إلى الفلّاحـين أكثر [مـ]ـمّا تحتـاج إلى الحدّادين، وتحتاج إلى الخبّازيـن و[...][1] أكثـر ممّـا تحتاج إلى الصاغـة والصياقلة، وتحتـاج إلى الأعوان والجنـد أكثر ممّا تحتاج إلى الأمـراء والوزراء، وتحتاج إلى الفقهـاء والمتعلّمين أكثر ممّـا تحتاج إلى القضاة والمدرّسـين، وتحتاج إلى المحاويج والمسـاكين أكثر ممّا تحتاج إلى الزهّـاد والعبّـاد، وتحتـاج إلى الصوفيّـة والمتكلّمين أكثر ممّا تحتـاج إلى المتألّهين والمستغرقين.

هكذا قد أحكم الله أمر خلقه، ووضعه على قديم حكمته، ودبّره على أسرار علمـه، فإذن لابـدّ وأن يُخبر كلّ واحد من هؤلاء عن حالـه، فالفلّاح يحدّث في الزراعـة، والحـدّاد في الحدادة، والجندي في ما يتعلّق به، والسـلطان في ما يحكم أمر ملكه، والمتعلّم في فهمه، والفقيه في فتاويه، والقاضي في فضله[2]، والمحتاج في فاقتـه، والزاهـد في نُزُلـه[3]، والعابـد في عمله، والمتكلّم في إبانتـه، والمتألّه في

الصـادق عليه السلام، أنّه قال: «ما من مولودٍ يُولَد إلّا على الفطـرة، فَأَبَوَاهُ اللذانِ يُهَوِّدانه، وَيُنَصِّرانه، وَيُمَجِّساه».

وقد جاء في مصادر كثيرة، فراجع مثلًا: صحيح البخاري ١: ٥٣٠ ـ ٥٣١/ ١٣٥٩؛ صحيح مسـلم ٧: ٢١ ـ ٢٢/ ٢٧٥٠ وص٢٢ ـ ٢٤/ ٢٧٥٠ (٣) و(٥) و(٦)؛ صحيح ابن حبّان ١: ٣٣٦ ـ ٣٣٧/ ١٢٨ ـ ١٢٩، وص٣٤١/ ١٣٢، وص٣٤٢/ ١٣٣ .. وغيرها.

(١) كلمة لم نتمكّن من قراءتها.

(٢) كذا، ولعلّ الأنسب: «في فصله».

(٣) هكذا قد تقرأ، ولعلّ الصواب: «في تركه».

جلال الله وجماله، والمستغرق في شطحه.

وللمواطن الشرعيّة رجال، وللمواطن البرهانيّة رجال، في كلّ زمن وعصر، ما دام الدهر؛ فإنّ صفات الله لا تتناهى، وغايات معرفته لا تُدرك، ولا يَتوهّم أنّه محيط بها مطّلع عليها إلّا جاهل مغرور.

ثمّ انظر ـ أيّها العبد الصالح ـ إلى اللسان الموسويّ وتحلّيه بـ: ﴿أَسْمَعُ﴾[1]، ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾[2].

وإلى اللّسان المحمّدي ﷺ وتحلّيه بـ: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[3]، ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾[4]، ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾[5].

وقد عرفتَ الخطاب أوّلًا بين العبد وموسى، وتخصيصه العبد بـ: «إنّا آتيناه من لدنّا علمًا»[6]، وبقوله له: ﴿فَأَرَدتُّ﴾[7]، ﴿فَأَرَدْنَا﴾[8]، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾[9]، فلا تتعجّب ممّن تقوى عليه القوى النفسانيّة فينطق بها، والقوّة العقليّة فيعبّر عنها، والقوّة الإلهيّة فيشير إليها.

واعلم، أنّ الحسد مركوز في جِبلَّة البشر، فإذا رأوا أحدًا قد عبّر بلسان

---

(١) وهو قوله تعالى في سورة طه (٢٠): ٤٦: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾.

(٢) وهو قوله تعالى في سورة الأعراف (٧): ١٤٣: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ﴾ إلى آخر كلامه سبحانه.

(٣) النجم (٥٣): ١٧.

(٤) النجم (٥٣): ١٢.

(٥) النجم (٥٣): ١١.

(٦) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الكهف (١٨): ٦٥: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾.

(٧) الكهف (١٨): ٧٩.

(٨) الكهف (١٨): ٨١.

(٩) الكهف (١٨): ٨٢.

الربوبيّة عن هويّة الربوبيّة، ينسبونه [إلى الجهل]؛ لعدم شهادتهم حقيقة المخبر والمخَبر عنه، ويبقون مع الصور الفانية التي هي التراب، الداخلة[1] بحبّ الموت والفناء والخراب، ويظنّون أنّ الخطاب لها وعنها.

وقد مرّ بعلمك أنّ الناطق في الصورة الإنسانيّة يضيفها إليه، فيقول: صورتي وجسدي، ويفصل أعضاءها، فيقول: يدي ورِجلي، ورأسي وقدمي، ولساني وقلبي، ونفسي وعقلي، وروحي وإلهي. ويقول في الإشارة: هو وهم، وأنا وأنت، ومن لم يفهم خطاب هذه المراتب أنكر الصفات، واختلفت عليه الأصوات، ودخل في الأشتات، وقيل له: فاتَ، وهيهات.

فارجع ـ أيّدك الله بروح منه، وجعلك مخبرًا عنه ـ إلى المؤانسة بالمعنى، ولا تقف مع التصوّر فتشرب ﴿كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾[2]، وتدخل ﴿جَنَّتَانِ﴾[3] ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾[4]، وتعرف حينئذ كلّ مصوّر في النّار، وادخل إلى عالم المعاني، تشرب كأسًا ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾[5]، وتدخل جنّة عالية ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾[6]، وتعرف حينئذٍ معنى كلّ موحّد في النعيم.

ولا تضيّع أيّامك ـ أيّها الوليّ الصالح ـ بعناد من لا بدّ منه في الوجود؛ فأنت جملة شريفة، وآلة حسنة، وجوهرك قابل، ولك فضائل جمّة، فلا تأخذ في عناد الموتى بأشباحهم القائمين في هذا العالم بأرواحهم، يذهب عليك الزمان،

(١) هكذا قد تقرأ، ولعلّ الصواب: «الواصلة».
(٢) الإنسان (٧٦): ١٧.
(٣) الرحمن (٥٥): ٦٢.
(٤) الرحمن (٥٥): ٦٦.
(٥) الإنسان (٧٦): ٥.
(٦) الغاشية (٨٨): ١١ ـ ١٢.

ويعاندك أهل المكان، واستدرك المؤانسة بالقوّة الإلهيّة القائمة بهذا العالم، المختلف في الأشخاص والأديان، المتّفق في الجوهر والكيان، ولا تجعل نفسك في الجمّ الغفير الراضي بمدح الكثير، فلا خير في كثير.

وإنّي ـ والله ـ لأحبّ أن لا تكون في قليل الكثير، بل في قليل القليل، ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾[1]، والمتّهم[2] من رسم في المستقبل ما ينتفع به العالم الحاضر، وراعى الماضي مراعاة التدبير العقلي[3]؛ ليحفظ به عقول أهل الغفلة.

وما كتبتُ هذه الجزازة إلّا وأنا عارف أنّ علمي في بحر كلامك، وكلامي في برّ علمك [ليس] إلّا كالذرّة والقطرة، ولستُ مستنبطًا[4]، ولا مبخِّتًا[5]، ولا مقرِّعًا، ولا مكابرًا، ولا معاندًا، يعلم الله ذلك من سريرتي، وهو المطّلع على طويّتي، بل جئتك[6] شفيقًا رفيقًا صديقًا، تجب عليه محبّة أمثالك، كما يعزّ عليه فوات أعمالك.

فإيّاك ومقارنة الشباب الذين لم تَهدِهم[7] الحكم الربّانيّة، ولا ارتاضوا بالمعارف الإلهيّة، فينقلوا إليك ما يفتنونك[8] به. والسّلام.

وقد كتبتُ هذه الجزازة بيني وبينك، فلا تشرك فيها ثالثًا فيحلّ الخبال والوبال. وأستغفر الله لي ولك من الخطأ والخطل، والزيادة والخلل، والحمد لله ربّ العالمين.

(١) ص (٣٨): ٢٤.
(٢) كذا.
(٣) لعلّها تقرأ: «الغفلي».
(٤) كذا.
(٥) هكذا قد تقرأ.
(٦) هكذا قد تقرأ.
(٧) في الأصل: «لم تهديهم».
(٨) في الأصل: «ما يفتنوك».

[موقف ابن تيميّة من الرسالة الأولى]

قال العبد الفقير عبد الله ابن المعمار:

فحملتُ هذه الرسالة إليه بنفسي سرًّا، وسألتُ الله أن لا يثير منه شرًّا؛ لئلّا يشغلني بذاته، وجرس نذاته[١]. فلمّا وصلتُ إليه، وفصلتُ لديه، قال: من هذا الضالّ المتعاطي هذا الحال؟!

فقالوا: فقير خَلِق السربال، عليه [...][٢] بالٍ.

فقال: اطلبوه، لعلّنا نرشده إلى الباب، ونهديه إلى الصواب.

فلـمّا لم يجـدوا لي أثـرًا، ولا أثبتوا منّي خبرًا، نسـبني قبل اسـتحلاء عبارتي، واستجلاء إشارتي إلى الاتّحادية، وألقاني في لعنة[٣] العناديّة.

فحصل لي منه المراد بعدم الانقياد، فقلتُ للقلب: لا تسـأم العلاج، فيفسد المزاج، قَدِّم حسن الظنّ في علاجه، واصبِر على انحراف مزاجه، فلعلّه ولعلّه من أحيـى أرضًا ميتة فهي له غـذّة القوابض، وجنبة الحوامض[٤]، وصرف أطعمته بـــ: لا تسرفوا، ولا تقتروا، وأشربته بالذين ﴿يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّـرُواْ﴾[٥]، وعرّفه أنّ طهـارة الجسـد بتخفيف ترابه وفضلاتـه، واعتداله بتصفيـة مائه ورطوباته، واستقامته بتحليل هوائه الكثيف، وحياته باعتدال ناره اللطيف.

(١) كذا.

(٢) كلمة غير مقروءة، ولعلّها: «مسح».

(٣) قد تقرأ: «لعينة».

(٤) كذا.

(٥) التوبة (٩): ١٠٨.

[الرسالة الثانية إلى ابن تيميّة]

فركّبتُ له نسخة ثانية، قطوف منافعها دانية، وأضفتُ إليها قليلًا من العَقَاقير الحادّة، لعلّها تحتمل شيئًا من المادّة، وكتبت بالنسخة الثانية إليه ـ واسمها: الصاخّة ـ :

بسم الله الرحمن الرحيم، وما توفيقي إلّا بالله، عليه توكّلت، وإليه أنيب.

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾.[1]

كتبتُ إليك ـ أيّها السيّد الجليل الفاضل، الحبر الفقيه العالم العامل ـ جزازة من وجه المذاكرة، أنبّه فيها على حسن ظنّي فيك؛ طمعًا في تلاقيك وتلافيك، وألتمس أن تكون الحال ثاني اثنين؛ لتتّحد بيني وبينك حقيقة العين.

وقد علمت ما في الكثرة من الشرّ، وأنّه قَلَّ من لابسها فاستسرّ، لآخذ عنك ومنك ما في نفسك من الغاية التي هي كمالك يوم العَرض على مالك السماء والأرض، ولا نعرف من أثناء ذلك: هل أنت من الرجال الذين همّهم أمر المعاد، وممّن اقتنوا له الزاد، وقوّوا له الاستعداد، أم أنت ممّن يثبت في ما لا يعلم، ويحكم عليه الشرّ المبهم، فأبنتَ عن سرعة، وحكمتَ عليّ بغير شِرعة.

فاعلم يقينًا، وافهم مستبينًا ـ أراك الله طرق السلامة، وجنّبك سبل الندامة ـ: أنّ الذي حصل لك من العلوم الظاهرة، والرسوم الباهرة، والفقه المختلف، والجدل المؤتلف، والذي تحمّلتَه من الأسماء والصفات، وتركيب القضايا الوهميّات، والذي نقلتَه من نوادر الحكم، وأخبار الأمم، وعرفتَه من أنساب العرب، وحفظتَه من دقائق أرباب الأدب، وأحكمتَه من الخلاف

(١) الزمر (٣٩): ٤٥.

الناشـئ بين أهـل الفتن، وعلمـتَ مَن الواضع لـه في كلّ زمن، والـذي اقتنيتَه مـن تأويل المتكلّمين في الكتـاب الإلهي، وما جاء عن المفسّريـن بالوجه العقلي والنقـلي، والـذي اتّضح لـك من أسـباب التنـزّلات، وتنوّعتَ فيه مـن...[١]، ودريـتَ من الـراوي المحقّ، ومن ناقـل الإفك والصدق، وحقّقـتَ ما جاء في الزمـان مـن العلماء، وكم بتقاديـر الأزمنة حتّـى مباعث[٢] الأنبيـاء، وكم عمر كلّ واحـد مـن الأشراف المتقدّمين، ومـن تابعه من المتأخّريـن، والذي حفظتَه من الأشـعار، ورويتَه من الأخبار، ونقلته من الآثار، مع مواربتك في الأحكام والسـنن والفـروض، ودِربتك بتصريـف اللّغة والعروض، والـذي تبطّنتَه من غريـب الحديـث، ومعرفـة الفرائـض والمواريـث، ومـا حصل لك مـن الطبّ والنخامـة[٣]، ونُمي[٤] لعلمك من قواعد الإمامـة، وما صار إليك من البرهان والدليل، والقياس والتمثيل، وما اقتنصتَ من الهندسـة والحساب، مع كشفك العلامـات والأسـباب، وما جلـتَ فيه من المنطـق والطبيعة، أو حسـبتَه[٥] من بعـض أركان الشريعة، والذي اسـكنان[٦] لك من السـحر والعيافة، وأدركتَ مـن الأيهـام والقيافـة، وما رقمتَ من حسـن الكتابـة، ونهضتَ بـه من الوعظ والخطابـة، وإفحامك الخصم بالجدال، وتنوّعك في القيل والقال، علم سـيادة، وطلب مرتبة ووسادة، لا علم سعادة وطلب خمول وزهادة.

(١) كلمتان لم نتمكّن من قراءتهما.

(٢) كذا.

(٣) هكذا قد تقرأ، ولعلّ الصواب: «والفخامة».

(٤) هكذا قد تقرأ.

(٥) قد تقرأ: «واحتسبتَه».

(٦) كذا، ولعلّ الصواب: «استكان».

قُصاراك[1] أن ترمي به المنابر، وتفتح بين يديك المحابر، وتملي من لسانك[2] الصحف والأوراق، وتظهر اسمك في المحافل والأسواق، ويقال: هذا عالم الزمان، ويشار إليك بالبنان في البيان، لكي لا يصحبك من ذلك كلّه شيء إلى الدار الآخرة، ولا يحصل لك به في مقعد صدق رتبة فاخرة؛ فإنّ علوم الدار الفانية غير علوم الدار الآخرة الباقية ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[3]، أين التراب وربّ الأرباب؟!

كيف تُفتح لهم أبواب السماء، وقد حُجبوا تحت أقفال الأسماء؟!

﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾[4]؛ فإنّ المؤمنين ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾[5]، هم الألبّاء الجزماء، الحكماء العلماء، ريحان كلّ قبيل، وروح كلّ جيل، أنفسهم عفيفة، وحوائجهم خفيفة، لا يسبّون من الناس خلقًا، ولا يقتفون منهم أثرًا. إن عُرفوا لم يَشهَدوا، وإن شَهِدوا لم يُعرفوا.

هم القوم، لا مستودع السرّ ذائع
لديهم، ولا الجاني بما جرّ يخذلُ[6].

وسأدلّك على عمل يكشف لك بعض حالك ـ تعرف منه مقدار رتبتك في جنب علم الله، ويظهر لك أَمُحِقٌّ أنت في ما لديك، أم مُلتبَسٌ يا صاح عليك، و﴿ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾[7]، والمتشبّ بما لا

(١) أي: غايتك وآخر امرك. لسان العرب ١٢: ٤٤٦.
(٢) في الأصل: «لسنك».
(٣) الحجّ (٢٢): ٧٤؛ الزمر (٣٩): ٦٧.
(٤) الحديد (٥٧): ١٣.
(٥) الحديد (٥٧): ١٢.
(٦) بيت من لاميّة العرب للشنفرى. انظر: خزانة الأدب ٣: ٣١٩. وفيه: «هم الأهل»، بدل «هم القوم».
(٧) القيامة (٧٥): ١٤ ـ ١٥.

يملك كلابس ثوبَي زور، ومن كتم الإخوان بثّه، والاطباء مرضَه، فقد أحلّ بنفسه دار العجز والتقصير ـ وهو: أن تريح القوّة الحافظة والذاكرة شهرًا، وتستعمل المفكّرة والمصوّرة شهرًا، وتتحدّث بقلبك مع ربّك ما تحبّ أن تكون سعادتك الباقية في الآخرة، وسلامتك الوافية في الدين والدنيا، وكن من الذين ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فإذا كشف لك ما أبدع الإله الحكيم في ملكوته، وما وضع في ملكه، قل: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[1].

واعلم، أنّ كلّ جنّة ونار بحسب أهلها، وأشدّها نار الجهل والإنكار لشيء من خلق الواحد القهّار، العزيز الجبّار، فلعلّه يتّضح لك: كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما كان عليه، فاذا أنست بالخلوة، وبقيت فردًا مع الله بلا قرين يغريك ويطغيك، ويلفظ مساويك، ويتّفق حاله معك بالإيهام والتشكيك، فاجمع ذاتك عليك، واحضر على إيّاك[2]، واجتهد في الثبات.

وانظر بسائر حواسّك الباطنة والظاهرة: هل يمكنك إدراك خلع اليقظة، ولبس المنام، والتلوّن بأشخاص الأحلام، وتجد في ذاتك كيفيّة العلم بالانقلاب من السِّنَة إلى الهُجُود، والانتقال من حدّ إلى حدود، ويبقى[3] لك العلم بما لبست معرفة ما خلعت كما تجده في الانتباه من المنام، أم لا؟!

فإن لم تفهم تلك اللحظة، فليس لك معرفة بخلع البدن ساعة الموت الأكبر، والانتقال إلى المحشر، فلا تتعاطَ ما ليس لك، وتسارع بالإنكار إلى عدم هذه المرتبة، بل قل: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[4].

(١) آل عمران (٣): ١٩١.
(٢) كذا.
(٣) لعلّه: «ويُنفى».
(٤) طه (٢٠): ١١٤.

فانـزل عن مقام المعرفـة بالموت ـ الذي هو الطريـق إلى علم الدار الآخرة، والاطّـلاع على ما فيهـا من النعيم والهبات الفاخرة ـ ثمّ انظر: هل يقع شيء من الحـوادث الخارجـة عنك مسـاويًا لما في خاطـرك بغير زمان؟ فـإن لم تجد ذلك، ودخـل بـين خاطـرك في الباطـن ووقوعـه في الخارج زمـانٌ، فالوقـت لغيرك، ولسـتَ الرجل المشـار إليه في العالم، بل عضوًا من أعضائه بحسـب طول المدّة وقصرها، فالتمس الوسيلة إلى الله، وقل: ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[1].

فانزل عن هذا المقام درجة، وانظر واعتبر: هل يمكنك إدراك كلّ خفقة من القلب، ماذا ترسـم في الخيال من الصور الرحمانيّة والشـيطانيّة، والفرق بينهما، والتصرّف في محو الباطل، وإثبات الحقّ، والحكم به في عالم الصورة بما يرقيه إلى الملأ الأعلى، بمعارج العدل والإحسـان في كلّ آنٍ، وتدبير الطبيعة بقهرها لكلّ شـيطان؟ فإن لم تَرَ ذلك فما أنت من عالم قبول الفيض الأعلى النوراني، ولا من أهل الرحمة العبديّة والعلم اللدنّي، ولا لك تصرّفٌ في الباطن، ولا سمعٌ لهمس الخفاء وإشـارةِ السرّ ونطقِ القلب، فاسـتغفر الله سبعين مرّة، وقل: ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[2].

ثـمّ انـزل عن هذا المقام درجـة، وحقّق: هل يمكنك إذا كنت مسـتغرقًا في حالة، تشهد بما يُختم لك من غايتها، وما يجب أن يتولّد من ملابستها بك[3] من الأحوال المتجدّدة هكذا إلى آخر عمرك بغير زمان؟ فإن لم تجد ذلك فما أنت من أهل السياحة العقليّة، بل أنت مطيع[4] في عالم النفوس، ومن شأن النفس أن لا تدري ماذا تكسب غدًا[5]، ومن شأن العقل أن يقال له: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ

(١) طه (٢٠): ١١٤.
(٢) طه (٢٠): ١١٤.
(٣) كذا، والأنسب: «لك».
(٤) كذا، ولعلّ الصواب: «مضيّع».
(٥) إشارة إلى قوله تعالى في سورة لقمان (٣١): ٣٤: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾.

مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾[1].

فانزل عن هذا المقام درجة، وانظر: هل إذا شاهدت شيئًا ببصرك، وأطبقت عينيك، هل يثبت لك ذلك المنظور بألوانه وكيانه، لا في العلم، بل تراه في الخيال بهيئته وألوانه في البصر؟ فإن لم تجد ذلك فما لك قوّة في الكشف الحسّي والخيالي، فلا تستند إلى معرفة الكشف العقلي وتحكم به، ترجع أعمالك عليك، ونفر[2] الحقّ من بين يديك، فاستغفر الله ألف مرّة، حتّى تنزعَ عنك رداء الكبرِ الذي وجدته في المرتبة، والعُجبِ الذي حصّلته بالفضيلة، وقل: ﴿رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾[3].

واعلم، أنّ العالم الذي صرتَ إليه، قال لهم خالقهم ـ سبحانه وتعالى ـ جوابًا لإشاراتهم: ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[4].

واعلم، أنّ أمارات صاحب السعادة لائحة على شمائله، والأعمال الصادقة لامعة فوق مخايله، ومن علاماته: أنّه كريم الأبوين، شريف القبيلة، فاضل الإخوان، فصيح البيان، صادق اللسان، قويّ السلطان، ثابت الجنان، كثير المناقب، ناظر في العواقب، غزير العلم، كثير الحلم، عالي الهمّة، وافر الأنس، قليل الضجر، حافظ السرّ، جميل الصبر، صاف[5] البصيرة، دفيق الورع، لطيف المباشرة، وقور المحاضرة، وسيع الصدر، غامض الاشارة، قويّ الإنابة، طاهر الأخلاق، زاهد في الدنيا، راغب في الآخرة، وَفِيّ العهد، منجز الوعد، وافرُ العزّ في مقامه، عَلِيُّ الصدق في مرامه، خادم لإخوانه، مكرم لأعوانه، طويل

(١) طه (٢٠): ١١٤.
(٢) هكذا قد تقرأ، وقد تقرأ: «ويفرّ».
(٣) طه (٢٠): ١١٤.
(٤) الواقعة (٥٦): ٦١.
(٥) كذا، والأنسب: «صافي».

الفكرة، فاتك اللحظة، مستفيد من العقليّات، مفيد للنقليّات، كثير الشفقة على خلق الله، معظّم لشعائر الله، جواد الكفّ، شجاع القلب، عالم بالربّ، منقاد إلى الصلح، كثير الغيرة، طيّب المعاني، شديد الأنفة من العار، مجانب الأشرار، متخلّص الأسباب، عالم بالمبدأ والمعاد، متوقّد السكينة، حسن الصورة، أبدي الخبرة[1]، معتدل المزاج، دائم الأياس من دنياه، كثير الفرح بالله، لطيف المباشرة للنساء، طاهر الثياب، حافظ الأمانة، متين الديانة، متبتّل لله، حاضر[2] على رضاه، صادق التفويض، فانٍ في جنب الله.

فإن اقترن به هذا التوفيق، وارتسم فيه هذا التحقيق، قَرُبَ من مقعد صدق، وأنس في جوار الحقّ، ودخل في عالم الصفو والارتقاء، وصار من أهل الخلود والبقاء، ويتمتّع بفيض الجود من حضرة الحيّ المعبود ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[3]، وصار من أولياء الله الذين ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[4]، وقليل ما هم، وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته.

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾[5] ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[6] ﴿طسٓمٓ﴾[7].

نعلمك ـ أيّها الفقيه العالم، المجيد الفاضل، المجاهد العامل ـ أنّك متى كنتَ قالَبِيَّ التحصيل، فأنت موسويّ المرتبة، خطائي العلم، زماني المعرفة.

---

(١) كذا.

(٢) كذا.

(٣) الأنعام (٦): ١٠٠.

(٤) يونس (١٠): ٦٢.

(٥) الشورى (٤٢): ١ ـ ٢.

(٦) يونس (١٠): ٣٥.

(٧) الشعراء (٢٦): ١؛ القصص (٢٨): ١.

ومتى كان علمك تحصيلًا من غير أن تبصر[1]، فأنت عيسويّ المرتبة، نفساني العلم، ملكي المعرفة.

وإن كان علمك قلبيًّا لَدُنّيًا، فأنت محمّديّ المرتبة، روحاني العلم، إلهي المعرفة.

ولكلٍّ شواهد، والعناية الإلهيّة تعطي كلَّ شيء خلقه[2].

واعلم ـ أنار الله بصيرتك، وجمّل علانيتك وسريرتك ـ: أنّ العناية الربّانيّة لها بك اعتناء وافر، وقد أظهرَت محاسنها عليك في الباطن والظاهر، ومن عدلها أن تدعو إلى الحضرة الإلهيّة من استجاب فأناب؛ لتتّضح لكلّ نفس محجّة، وتثبت على كلّ نفس حجّة، ولئلّا يقولوا: ما جاءنا من نذير[3].

ونعلمك أيضًا ـ أيّها العالم الربّاني ـ: أنّ كلّ نبيّ بعثه الله تميّز على أمّته بشرف ذاته وخاصّته، ويضرب عن أحبار موسى، وحواريّي[4] عيسى، وأسباط يعقوب، وأولاد إبراهيم، صفحًا، ويسترشد بشريعة نبيّنا محمّد ـ عليه [وآله] أفضل الصلاة ـ؛ إذ هي الحاكمة علينا، والقريبة إلينا.

أمّا تميّزه ـ عليه [وآله] أفضل السلام ـ، فـ: «لستُ كأحدهم»[5]، وأمّا خاصّته: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾[6]، فإنّه عرف مكانهم من الفضيلة فألقى

---

(١) لعلّها تقرأ: «من غَيرانٍ مبصر»، ولا محصّل له.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة طه (٢٠): ٥٠: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة المائدة (٥): ١٩: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

(٤) في الأصل: «وحواريّين».

(٥) إشارة إلى أحاديث نبويّة بهذا اللفظ، مثل ما روي عن أمّ سلمة، عن النبيّ ﷺ، قال: «من صلّى أربع ركعات قبل العصر، حرّم الله بدنه على النار» قلتُ: يا رسول الله، قد رأيتُك تصلّي وتدع. قال: «لستُ كأحدهم». المعجم الكبير للطبراني ٢٣: ٢٨١.

(٦) الفتح (٤٨): ٢٩.

عليهم النبوّة، وعرفوا قدره وتلقَّوها بالقبول منه.

ودليل على الذي لا تراه، لا ترى الذي يسري.

وقال في إظهار تخصّصهم على عوامّ أمّته: «عمّار جلدة بين عيني»[1]، «أقرأُكُم أُبَيّ»[2]، ما سبقكم أبو بكر بصوم ولا صلاة، ولكن بشيء وُقِرَ في صدره[3]، و«أقضاكم عليّ»[4].

ثمّ خصّ كلّ واحد من أصحابه ـ عليه [وآله] السلام ـ بفضيلة تميّزه، ولمجموعهم على عوامّ الأُمّة حصول المناقب التي وصفهم بها إلى الآن.

وأمّا ذكر طبقات المؤمنين والكافرين فظاهرة المَيز، وقوله: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾[5]، دَلّكَ[6] على المَيز، و﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[7]، دَلّكَ على المَيز.

ونعلمك أيضًا ما أدّب الله به نبيّه، فقال في موطن: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ

---

(١) رواه الكشيّ رحمه الله في رجاله: ٣٠/ ٥٧؛ والإربلي رحمه الله في كشف الغمّة ١: ٤٥٩ .. وغيرهما.

(٢) سنن ابن ماجة ١: ٥٥/ ١٥٤؛ المعجم الصغير ١: ٢٠١؛ أخبار القضاة لوكيع ١: ٨٨ـ ٩٠؛ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: ١٢٧؛ الاستيعاب ٣: ١١٠٢؛ الفقيه والمتفقّه للخطيب البغدادي ٢: ٢٩١/ ٩٩٢؛ التبصير في الدين للأسفراييني: ١٧٩؛ مفردات ألفاظ القرآن للراغب: ٤٢٢؛ مصابيح السنّة ٤: ١٨٠/ ٤٧٨٧؛ تاريخ مدينة دمشق ٤٧: ١١٢؛ أُسد الغابة ٣: ٥٩٧ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٨ . شرح الأخبار ١: ٩١؛ مناقب آل أبي طالب ٢: ٣٣.

(٣) عدّه ابن قيّم الجوزية في كتابه: المنار المنيف: ٧٧ ممّا وضعته جهلة المنتسبين إلى السنّة في فضائل أبي بكر، وقال عن الخبر: «وهذا من كلام أبي بكر بن عيّاش».
وقال محمّد ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٢: ٣٧٨/ ٩٦٢: «لا أصل له مرفوعًا»، إلى أن قال: «ومن المؤسف أن يسمع هذا الحديث من بعض الوعّاظ في المسجد النبويّ».

(٤) عدّه الباقلاّني في تمهيد الأوائل: ٥٤٣ من الفضائل المشهورة المرويّة عن النبيّ صلى الله عليه وآله في حقّه عليه السلام.

(٥) الزخرف (٤٣): ٣٢.

(٦) قد تقرأ: «ذلك». وهكذا في نظيرها القادم.

(٧) الزمر (٣٩): ٩.

لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، وفي موطن: ﴿يَشْوِي وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[2]، وفي موطن: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[3]، وفي موطن: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[4]، وفي موطن: ﴿أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾[5]، وفي موطن: ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾[6]، وفي موطن: ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾[7].

ونعلمك أيضًا ـ فتح الله لك أبواب رحمته، وأفاض عليك شآبيب نعمته ـ: أنّ المعرفة بأمر المعاد، وعَود الأرواح إلى الأجساد، والاطّلاع على أسرار القيامة، ومعرفة الواقعة والصاخّة والطامّة، ومعرفة النشور، وبعثرة القبور[8]، وانتثار النجوم[9]، وغيبة الشمس[10]، وخوف النفس، وبريق البصر، وانخساف الشمس والقمر[11]، وانشقاق السماء وانفطارها[12]، وامتداد الأرض[13]

(١) الحجر (١٥): ٨٨.
(٢) الكهف (١٨):٢٨.
(٣) آل عمران (٣): ١٥٩.
(٤) النحل (١٦): ١٢٥.
(٥) المائدة (٥): ٣٣.
(٦) المائدة (٥): ٣٨.
(٧) محمّد (٤٧): ٤.
(٨) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الإنفطار (٨٢): ٤: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾.
(٩) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الإنفطار (٨٢): ٢: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾.
(١٠) إشارة إلى قوله تعالى في سورة التكوير (٨١): ١: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾.
(١١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة القيامة (٧٥): ٨ـ٩: ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾.
(١٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الإنشقاق (٨٤): ١: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾، وسورة الإنفطار (٨٢): ١: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾.
(١٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الانشقاق (٨٤): ٣: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾.

وتيّارها[١]، وتسجير البحار[٢]، وتعطيل العشار[٣]، والسراط[٤] الممدود، والحوض المورود، وضرب السُّور، وفتح الباب، وتقسيم الثواب والعقاب، وطيّ السماء كطيّ السجلّ للكتاب[٥]، و﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾[٦]، ويوم يعرضون على ربّك صفًّا[٧]، و﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾[٨]، و﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾[٩]، و﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾[١٠]، و﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾[١١]، و﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾[١٢]، ويوم كألف سنة[١٣]، و﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[١٤].

ومعرفة الجنّة والنار، والبرزخ القائم بين المؤمنين والكفّار، غير المعرفة بالطهارة، والتيمّم، وأقسام الماء والحجارة، وترتيب الوضوء وتواليه، وتطهير

---

(١) هكذا قد تقرأ.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة التكوير (٨١): ٦: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة التكوير (٨١): ٤: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾.

(٤) كذا؛ والأشهر: «الصراط»، وكلاهما بمعنى واحد.

(٥) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأنبياء (٢١): ١٠٤: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾.

(٦) ابراهيم (١٤): ٤٨.

(٧) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الكهف (١٨): ٤٨: ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾.

(٨) الدخان (٤٤): ١٠.

(٩) عبس (٨٠): ٣٤.

(١٠) الأنعام (٦): ٧٣؛ طه (٢٠): ١٠٢؛ النمل (٢٧): ٨٧؛ النبأ (٧٨): ١٨.

(١١) غافر (٤٠): ١٦.

(١٢) الفرقان (٢٥): ٢٧.

(١٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الحجّ (٢٢): ٤٧: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾.

(١٤) المعارج (٧٠): ٤.

الثياب من النجاسات، وغسل الأواني والصلوات، وعدد ركعاتها، وكلّ فريضة ودعواتها، وصلاة السفر والجنائز، وما فيهما من الواجب والجائز، والصوم، وما يجب على فاعله في اليوم، وأقسامه في السفر، وكيفيّاته في الحضر، والزكاة وما فيها من تنوّع الحقوق الواجبة على المال الصامت والناطق، والحجّ ومناسكه، والجهاد وتاركه، والحيض ومعرفة دمه وألوانه وأيّامه، والطلاق وتفصيل أقسامه، والظهار، والأيمان، والكفالة، واللقطة، والحدود، والمواريث.

هذه أحكام وضعها الله في خلقه؛ للتعادل والتناصف، والعيادة والتراؤف، تحفظ بها الأبدان والأموال، وتقوى بها الأديان والأعمال، وتُملك بها في الأولاد والأملاك والحقوق الحياطةُ، ويكفّ الجهّال عن الشرور[1] والسلاطة، وتكون مباديها رحمته، وغاياتها تعهد[2] فهم من فهم.

فمن ظنّ أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كشف الأسرار الإلهيّة والحقائق الحكميّة للعالم والجاهل، والنبيه والخامل سواء، وساوى في أسماعها بين أهل العلم والأدب، والأجلاف من رعاة العرب، فقد جهل قدر النبوّة، وأساء سمعة الرسل، ودلّ على مقامه من الجهل والبلادة وسوء الفهم، ولم يعلم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله بلّغ ما أنزل إليه من ربّه، بشرائط إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه، فجاء عنه: «إِنَّا مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ بُعِثنَا نُخَاطِبُ النَّاسَ عَلى قَدرِ عُقُولِهم»[3].

(١) في الأصل زيادة: «الباطنة»، لكن شُطب عليها.

(٢) هكذا قد تقرأ.

(٣) روى الشيخ الكليني رحمه الله في الكافي ١: ٢٣/ ١٥، و٨: ٢٦٨/ ٣٩٤، والشيخ الصدوق رحمه الله في الأمالي: ٤١٨ ـ ٤٢٠/ ٦ بسنديهما، عن الإمام الصادق عليه السلام، أنّه قال: «ما كَلَّمَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله العِبادَ بِكُنهِ عَقلِه قَطُّ». وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنَا مَعاشِرَ الأَنْبِياءِ أُمِرنا أن نُكَلِّمَ النَاسَ على قَدرِ عُقُولِهم».
وقد جاء بألفاظ قريبة ممّا في المتن في كتاب مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلّي رحمه الله: ٣٨٨.

فقال أحدهم: «[إنّ] بين جنبيَّ علمًا جمًّا، لا أجدُ له حملة»[١].

وقال الآخر: لو قلتُ ما علمتُ من رسول الله، لخضبتم هذه من هذه.

وقول الحكماء: لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم[٢].

وأفعال أهل التجريد[٣]: لا يخاطب الملك خازن أسراره بما يخاطب به الجنديّ، ولا يكلّم الخاصّ منهم بكلام العاميّ.

والزارع فيُجانب ببذره السياخ والمزابل والأوساخ، ويهيّء لكلّ أرض بذرًا يظنّ ريعه[٤] فيها.

والتاجر يصون الجوهرة الثمينة في حُقّ، في كيس، في صندوق، في خزانة مقفلة، ويبهم مفتاحها عن أهله وأولاده؛ صيانة لقدر الجوهرة. ويلفّ الحلّة النفيسة في أغشية محكمة؛ ليقيها النظر والغبار، ويحجبها عن كثير من التجّار الأغيار.

فكيف يوصف رسول الله صلى الله عليه وآله بأنّه يبذر الحكم في التربة الطينيّة والجُنينيّة[٥] سواء، ويبدي أسرار النبوّة في العالم والجاهل سواء؟! ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾[٦].

(١) القائل هو مولانا أمير المؤمنين عليه السلام؛ كما حكي عنه في قوت القلوب للمكّي ١: ٢٣٢؛ وشرح الأخبار للنعماني ١: ٩١؛ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ١٣٤ وغيرها.

(٢) المشهور أنّ الكلام هو لنبيّ الله، عيسى بن مريم عليهما السلام، كما جاء في الكافي ١: ٤٢/ ٤، عن الإمام الصادق عليه السلام، أنّه قال: «قام عيسى بن مريم عليهما السلام خطيبًا في بني إسرائيل، فقال: يا بني إسرائيل، لا تحدّثوا الجهّال بالحكمة فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم».
وراجع من مصادرنا أيضًا: الكافي ٨: ٣٤٥/ ٥٤٥؛ الأمالي للصدوق: ٤٢١/ ١٧ وغيرهما.
وانظر من مصادر العامّة: جامع بيان العلم لابن عبد البرّ ١: ٤٥٠ ـ ٤٥١/ ٧٠٤ وغيره.

(٣) كذا.

(٤) كذا: ولعلّها: «ربحه».

(٥) هكذا قد تقرأ.

(٦) الأنعام (٦): ١٣٦، العنكبوت (٢٩): ٤ وغيرهما.

ونُعلمك أيضًا ـ أيّها الفقيه المجتهد آنسك الله بعلمك، وأزال قدر[١] فهمك ـ: أنّ جماعة من الأذكياء الأشرار استقامت لهم القوّة الحافظة، وضعفت فيهم القوّة المفكّرة، فانطلقوا بالأمّارة إلى حرب اللوّامة، وحفظوا من الكتب المختلفة أشياء غير مؤتلفة، وأعدّوها للجدل والمحاربة، والقهر والمواربة، وثبتَت تلك المعلومات في أذهانهم بغير أب مهذِّب صالح، ولا معلّم ناصح، فاشتبهَت عليهم مواضعها، والتبسَت عليهم مواقعها، واختلف بهم النقل، فاختلط عليهم العقل، ففسدت تصوّراتهم، واضطربت معاملاتهم، حتّى صار الواحد منهم لا يُفهَّم، ولا يُفهِّم، ولا يَفهَم، كالحمار يحمل أسفارًا[٢].

قصاراه أن يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، ويحنق لتقصيره وجهله؛ حسدًا لمن رَجَحَه في المقام، وفاته[٣] في شرف المقام، ونفذ علمه في القلوب، وانحاز إلى المعرفة بجناب علّام الغيوب، فلعنه[٤]، ويذمّه، وينقب[٥] في عرضه سهمه.

وقد نبّه الكتاب العزيز على أمثال هؤلاء، فقال: ﴿يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[٦]، وجاهرهم بالمعاتبة: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[٧].

---

(١) كذا، ولعلّ المراد بالقدر هنا: الضيق.

(٢) كما قال الله تعالى في سورة الجمعة (٦٢): ٥ عن علماء بني إسرائيل: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾.

(٣) كذا، ولعلّها: «وفاقه».

(٤) كذا.

(٥) هكذا قد تقرأ.

(٦) النور (٢٤): ١٩.

(٧) الحجرات (٤٩): ١٢.

وقالت الحكماء الأتقياء العلماء[١]: الأشرار يتّبعون مساوي الناس، كما يتّبع الذباب المواضع الفاسدة من البدن، ويترك ما صلح منها.

وقالت العوامّ: المتشدّق[٢] بما لم يطعم حقود على أهل النعمة.

ثمّ يتسلّطون أولئك الأشرارُ الأذكياءُ بلسانهم[٣] على رموز الأنبياء، وإشارات الفقراء، وكنايات الصلحاء، التي أعروها[٤] فرمزوها، وأبهموها أن يفهموها؛ حذرًا أن تصل إلى الطغام من العوامّ، حتّى قال بعضهم: الحرام كلّ الحرام إفشاء سرّ الخاصّ[٥] للعوامّ، فـ[...][٦] بها في الأسواق، ويبدونها بين الفسّاق، ويحدّثون بها الأجلاف، وأهل العناد والخلاف، ويظنّون أنّ ذلك من الإنصاف، ولم يعلموا أنّه من الإسراف، والله لا يحبّ المسرفين[٧]، ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾[٨].

أولئك قايلو[٩] المحنة، ومثيرو الفتنة ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾[١٠]، ولستر الله كشفوا، ولعهد رسول الله نقضوا، ولأمانات أوليائه نكثوا، و[...][١١] أصفيائه

---

(١) كما قال الطرطوشي المالكي في سراج الملوك ٢: ٧٧٠: «الأشرار يتّبعون مساوىء الناس، ويغفلون عن محاسنهم، كما يتّبع الذباب المواضع النغلة من الجسد، ويدع صحيحه».

(٢) هكذا قد تقرأ.

(٣) في الأصل: «بلسنهم».

(٤) كذا.

(٥) في الأصل زيادة: «والعامّ»، لكن شُطب عليها.

(٦) كلمة لم نتمكّن من قراءتها.

(٧) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأعراف (٧): ٣١: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

(٨) التكاثر (١٠٢): ٣ـ٦.

(٩) كذا.

(١٠) التوبة (٩): ٤٩.

(١١) كلمة لم نتمكّن من قراءتها، ولعلّها: «وللملكوت».

أباحوا، فهم ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾[1]، ولله القائل:

عرفوا وما قالوا، فأين هُمُ
من معشر قالوا وما عرفوا

ثمّ تطالبهم نفوسهم مع هذه الغمّة أن يؤدّبوا الأمّة، وإنّ ما جاوزوه من النقل نافع لهم مع عدم العقل، فيظهر الله أعمالهم على ألسنتهم، ويبدي مقاماتهم في ملاسنتهم ﴿لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ﴾[2].

فاتّقِ الله يا تقيّ، ولا تتّبع أهواءهم فيضلّوك عن سبيل الله، وعُد يا أحمد، فالعود أحمد، واتّبع سبيل من أناب، وفرّغ نفسك من عناد الصوفيّة والفقراء، والمتّبع طرق الأولياء، فلكلّ قوم إساءة وإحسان، إلّا رسل ربّ العالمين، ولا تمحُ مئة حسنة وتثبت سيّئة ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾[3].

واعلم، أنّه ليس العالم مَن حفظ أقوال الناس فقابَلَ[4] بها؛ بل العالم مَن حفظ أقوال الناس فاستخرج حِكَمها وتدبّرها، واعتبَرَ أوزان لفظه وحرّرها، وأثبتها أو أنكرها، وليس من الحكمة أن يخرج من الشيء ما ليس فيه، إنّما الحكمة أن يخرج من الشيء أخسّ ما فيه، فإذا ركّب من مسموعاته [...][5] شريفة، ومحاسَن[6] لطيفة، ستر بها الحقائق، وكتم بها الدقائق، وطرق بها الطرائق، وفهم بها الشرائع والسنن، واتّبع بها القول الحسن، وذاكر بها العلماء، وفاوض بها الأدباء، وأخبر

(١) الكهف (١٨): ١٠٤.
(٢) ص (٣٨): ٥٩.
(٣) التوبة (٩): ١٠٢.
(٤) هكذا قد تقرأ.
(٥) كلمة لم نتمكّن من قراءتها.
(٦) في الأصل: «ومحاسنًا»، والصواب ما أثبتناه.

بهـا عـن أيّام الله، وذكّر الناس بما فيه رضاه، ورغّـب إلى الآخرة، وزهّد في الدنيا، وشوّق إلى الجنّة، وحذّر من النَّار، فقد أدّى شكر النعمة، وظهر عليه حلية الأبرار الأطهار، وبانَ أنّه من الأخيار...[٧] والا[٨].

شعرٌ:

فَـعِـلـمُـكَ وَاللهِ مُـسـتَـودَعٌ
وَعِلـمُ الفَقِيـرِ هـوَ الـمُسـتَقَرُّ
فَـلَا تُكثِـرِ القَـولَ، فَالأَتقِيـاءُ
إذَا فَعَلُـوا فَاحِشًـا لَـم يُصِـرُّوا

وقـال: ﴿كُلٌّ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾[٩] ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾[١٠].

والحمد لله ربّ العالمين.

شعرٌ:

دَعُونِي بِجَهلِـي، وَاكتَفُوا بِعُلُومِكُم
فَإِنِّـي بِجَهلِي مِـن عُلُومِكُـمُ أَدرَى
وَلَا تُرشِـدُونِي إنْ ضَلَلْـتُ، فَإِنَّمَـا
ضَلَالِيَ عِنـدِي مِن هِدَايَتِكُم أَحرَى.

(٧) بياض بمقدار كلمة أو كلمتين.
(٨) كذا.
(٩) الإسراء (١٧): ٨٤.
(١٠) الشعراء (٢٦): ٢٢٧.

المصادرُ والمراجعُ

القرآن الكريم.

١. الأعلام، خير الدين بن محمود الزِركلي (ت ١٣٩٦ هـ)، دار العلم للملايين ـ بيروت، ط ١٥: ٢٠٠٢ م.

٢. الأمالي، الشيخ الصدوق محمّد بن عليّ بن بابويه (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مؤسّسة البعثة ـ قم المقدّسة، ١٤١٧ هـ.

٣. تاريخ علماء بغداد (منتخب المختار)، أبو المعالي محمّد بن رافع السلامي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق المحامي عبّاس العزاوي، الدار العربيّة للموسوعات ـ بيروت، ط ٢، ١٤٢٠هـ.

٤. تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، أبو بكر محمّد بن طيّب الباقلّاني (ت ٤٠٣هـ)، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، مؤسّسة الكتب الثقافيّة ـ بيروت، ١٤٠٧هـ.

٥. التوحيد، الشيخ الصدوق محمّد بن عليّ بن بابويه (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق السيّد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسّسة النشر الإسلامي، قمّ المقدّسة، ١٣٩٨هـ.

٦. خزانة الأدب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق د. محمّد نبيل طريفي ود. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٨م.

٧. رجال الكشّي، الشيخ الطوسي محمّد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ)، تحقيق حسن المصطفوي، مركز نشر آثار العلّامة المصطفوي، لندن، ط ٨، ١٤٤١هـ.

٨. رياض العلماء، الميرزا عبد الله بن عيسى بيك أفندي (ت ١١٣٠ هـ)، تحقيق: السيّد أحمد الحسيني، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤٣١هـ.

٩. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الشيخ الآغا بزرك محمّد محسن الطهراني (ت ١٣٨٩ هـ)، دار الأضواء، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

١٠. سراج الملوك، محمّد بن الوليد الطرطوشي المالكي (ت ٥٢٠ هـ)، تحقيق: محمّد فتحي أبو بكر، الدار المصريّة اللبنانيّة، القاهرة، ١٤١٤هـ.

١١. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، محمّد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠ هـ)، مكتبة المعارف ـ الرياض، ١٤١٢هـ.

١٢. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت

٦٥٦هـ)، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت.

١٣. صحيح ابن حبّان، أبو حاتم محمّد بن حبّان البُستي (ت ٣٥٤ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ.

١٤. صحيح البخاري، محمّد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسّسة الرسالة ـ بيروت، ١٤٣٢هـ.

١٥. صحيح مسلم، مسلم بن الحجّاج النيشابوري (ت ٢٦١هـ)، مركز بحوث دار التأصيل ـ القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٣٥هـ.

١٦. كشف الغمّة في معرفة الأئمّة عليهم السلام، عليّ بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي (ت ٦٩٢ هـ)، تحقيق علي آل كوثر، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ـ قم المقدّسة، ١٤٣٣هـ.

١٧. لسان العرب، ابن منظور محمّد بن مكرم الإفريقي (ت ٧١١ هـ)، دار صادر ـ بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ. ق.

١٨. مجمع الآداب في معجم الألقاب، ابن الفوطي عبد الرزّاق بن أحمد البغدادي (ت ٧٢٣ هـ)، تحقيق محمّد كاظم، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ طهران، ١٤١٦هـ.

١٩. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيميّة، القاهرة، ١٤١٥هـ.

٢٠. المنار المنيف في الصحيح والضعيف، محمّد بن أبي بكر ابن قيّم الجوزيّة (ت ٧٥١ هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلّمي، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٦هـ.

٢١. مَن لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق محمَّد بن عليّ بن بابويه (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق علي أكبر الغفّاري، مؤسّسة النشر الإسلامي، قمّ المقدّسة، ط ٥، ١٤٢٩هـ.